الرِّســـالة ١٨٣

كَيْفَ نُجَدِّدُ أذهَانَنَا؟

(Arabic – How we can renew our minds?)

أحبّائِي.. حَديثنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **كَيْفَ نُجَدِّدُ أذهَانَنَا؟**

ومِنْ رسَالةِ بُولس الرّسُول إلى مُؤمِنِي رُومِيَة نقرأ العَدَدَ الثانِي مِنَ الأصْحَاح الثانِي عَشَرَ:

"ولا تشَاكِلوا هذا الدّهر. بلْ تغَيّرُوا عَنْ شكلِكمْ بتجْديدِ أذهَانِكمْ. لِتختبرُوا مَا هِيَ إرَادَة اللهِ الصّالِحَة المَرْضيّة الكَامِلة".[١]

إنّ الذِهْنَ هُوَ وَسيلة الحُصُول على المَعْرفةِ. وبالمَعْرفةِ يُمكِنُ التمْيِيزُ بَيْنَ الحِكمَةِ والجَهل. والذِهْنُ هَوَ الأدَاة القادِرَة على استقبَال واستيعَابِ مَا يُرِيدُ المَرْءُ استقبَالهُ واستيعَابَهُ مِنَ العُلوم والمَعَارفِ. والحِكمَة نوْعَان: حِكمَة بَشَرِيّة ومَصْدَرُهَا بَشَرِيّ واستخْدَامُهَا مَقصُورٌ على الأمُور المُتعلِقةِ بحَيَاتِنَا الحَاضِرَةِ. وحِكمَة سَمَاوِيّة ومَصْدَرُهَا سَمَاوِيٌّ ولازمَة لِلحياة الحاضرة ولِلحَيَاةِ الأبَديّةِ. ومَصيرُنَا الأبَدِيِّ حَسَبَ مَا جَاءَ بالكِتابِ المُقدّس يتقرّرُ مِنْ هنَا ونَحْنُ على الأرْض. والذِهْنُ قبلَ تجْديدِهِ ليْسَ كفئاً لاستقبَال واستيعَابِ مَا يَتعلقُ بالسّمَاويّاتِ.[٢]

إنّ تجْديدّ الذِهْن لازمٌ لاستيعابِ السّمَاويّاتِ التِي هِيَ فوقَ الطبيعَة لأنّهَا رُوحيّة. فأذهَاننَا الطبيعيّة تستقِي مِنْ مَنَابع المَعْرفةِ المَوجُودَةِ بالعَالم المُحيط بنَا. وليْسَتْ مَنَابعُ المَعْرفةِ المَوْجُودَةِ بالعَالم كلِهَا تمجِّدُ اللهَ. ومهْمَا كنّا حَرِيصيينَ على استقاءِ مَا هُوَ مُفيدٌ لنا ونَافِعٌ لِحَيَاتِنَا مِنْ عُلوم مُختلِفةٍ وخِبْرَاتٍ مُتنَوِّعَةٍ لا يُشبعُ الرّوحَ فينَا. فبإمْعَان النّظر نَجدُ أنّ أذهَانِنَا مُبَرْمَجَة بمَا شَاهَدْنَاهُ ونشَاهِدُهُ فِي حَيَاتِنَا اليَوميّةِ. ومَا قرَأنَاهُ ونقرَؤُهُ مِنْ كتبٍ وصُحُفٍ ومَجَلاتٍ. وما سَمِعْنَاهُ ونَسْمَعُهُ مِنَ النّاس مُبَاشَرَة. ومَا يُذاعُ على مَحَطاتِ الإذاعَةِ. ومَا يَعْرِضُهُ التليفزيُون. والأمَاكِن التِي نَرتادُهَا لِلعَمل أوْ الترفيهِ. وهذِهِ جَميعُهَا بتأثيراتِهَا وانطبَاعَاتِهَا المُختلِفةِ على الذِهْن مليئة بشَوائِبَ تدْخلُ إلى أذهَانِنَا خُلسَة أوْ عَمْداً شِئْنَا أوْ لمْ نَشَأ. وتنْعكِسُ على سُلوكِنَا الرّوحِي بوَجْهٍ عُام. وعلى أسلوبِ عبَادتِنَا وعلى طريقةِ تعَامُلِنَا مَعَ البَشَر. ولا تعْطِي صُورَة صَادِقة لِلمَسيحيّةِ الحقيقيّةِ حَسبَ المَفهُوم الكِتابِيّ.[٣]

ليْسَ مِنَ الحِكمَةِ أنْ نتغَافلَ عَن أذهَانِنَا المُشَوّشَةِ. المُقيّدَة بقيُودٍ لا تَتوَافقُ مَعَ حَيَاةِ الإيمَان الحقيقِيّ. والعِشْرَةِ السليمَةِ معَ اللهِ. إنّ أذهَانَنَا فِي حَاجَةٍ إلى أنْ تتخلصَ مِمّا يَشُوبُهَا. لِنَحْيَا حَيَاة رُوحيّة نقيّة. والسّؤالُ الذِي يَخْطرُ على أذهانِنَا هُوَ: هلْ يُمكِنُ تجْديدُ أذهَانِنا؟. هلْ يُمكِنُ أنْ نكونَ أنقيَاءَ أمَامَ اللهِ؟. والإجَابَة: يُمكِنُ وبكلِّ تأكيدٍ. إنْ وُجدَتِ الرّغْبَة الحَقيقيّة لِذلِكَ. وأعْطِي مِثالاً مِنْ وَاقِعِ حَيَاتِنَا العَادِيّةِ. فإنْ كنْتَ لا تجُيدُ اللغَة الإنجليزيّة مَثلاً ولا تَعرفُ مِنْهَا حَرْفاً. فذِهْنكَ لنْ يَستوْعِبَ مَا تسْمَعُهُ بالإنجليزيّةِ ولنْ يَستجيبَ لكَ إنْ أرَدْتَ التعْبيرَ بهَا. السّبَبُ: لأنّ ليْسَ بذِهنِك حَصيلة مِنْ كَلِمَاتٍ أوْ تعْبيرَاتٍ تعينكَ على النطق بهَا وبالتالِي على فهْمِهَا. ولكنْ إنْ كانَتْ لدَيكَ الرّغْبَة الحقيقيّة لِتعلمِهَا. فذِهْنكَ سَيَستقبلُ مَا تريدُ أنْ تتعلمَهُ. وستَحقِقُ مَا تريدُهُ بسُهُولةٍ.[٤]

أضْرِبُ مَثلاً آخَرَ: إنْ اكتشَفتَ أنّ مَعلومَاتكَ فِي عِلم الاقتصَادِ ليْسَتْ بالمِستوَى اللائِق. وأنّ مَا تعْرفهُ عَفا عليْه الزّمَنُ. وأصْبَحَ لا يتلاءَمُ مَعَ مَا وَصلوا إلَيْهِ حديثاً. فإذا كَانَتْ لدَيكَ الرّغبَة فِي استيعَابِ مَا هُوَ جَديدٌ فلا بُدّ أنكَ ستَسَارعُ إلى المَرَاجع الكفيلةِ بذلِكَ بالمكتبَات. وسَوْفَ يلِمّ ذِهْنكَ بأحْدَثِ الدِراسَاتِ والبُحُوثِ. بَدلاً مِنَ المَعلومَاتِ الضّحلةِ التِي مَلأتْ ذِهْنكَ مِنْ عَهْدٍ بعيدٍ. مِنْ هنَا نَعْرفُ أنّ تَجْديدَ الذِهْن بالنِسبَةِ لِلغَةِ الإنجليزيّةِ أوْ عِلم الاقتصَادِ سَهلٌ ومَيْسُورٌ. لأنّ الذِهْنَ بطبيعتِهِ يتقبلُ التجْديدَ. طالمَا وُجدَتْ الرّغبَة فِي التجْديدِ. ولكنّ الأمْرَ يَحتاجُ إلى جُهْدٍ مُضَاعَف وقدْرَةٍ على تحَمل التعَبِ والمُعَانَاة. كمَا يَحتاجُ إلى إنفاق السّاعَاتِ والأيّام لِتعلم لغةٍ كالإنجليزيّةِ

---

[١] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١٢: ٢ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٢: ١٣

[٣] إنجيل يوحنا ٣: ١٢

[٤] رسالة يعقوب ١: ٥ & ٣: ١٧ ، إنجيل يوحنا ١٥: ٣

أو علم كعِلم الاقتصَادِ. حينئذٍ سيُحقِقُ مَا يَرجُو ويَستوْعِبُ ذِهْنهُ مَا رَغِبَ فيهِ. وشَبيهٌ بذلِكَ تجْديدُ الذِهْن لاستقبَال الأمُور الرّوحيّة. فهُوَ سَهلٌ ومَيْسُورٌ لِلمُؤمِن الذِى نَالَ تجْديدَ القلبِ. لأنّهُ يتِمّ بعَمل الرّوح القدُس السّاكِن فيهِ.[1]

إنّ تجْديدَ الذِهْن رُوحيّاً لاستيعَابِ الأمُور الرّوحيّةِ لا يَحتاجُ إلى مُعَانَاة. لأنّ الرّوحَ القدُسَ كفيلٌ بفتح الذِهْن ليفهَمَ ويَستوْعِبَ. فالبشيرُ لوقا يُسَجلُ بإنجيلِهِ الأصْحَاح الرّابع والعِشْرينَ أنّ الرّبّ يَسُوعَ حينَ ظهَرَ لِتلاميذِهِ بَعْدَ قيامَتِهِ قالَ لهُمْ: "هذا هُوَ الكلامُ الذِى كلمتكمْ بهِ وأنَا بَعْدُ مَعكمْ. أنّهُ لا بُدّ أنْ يتِمّ جَميعُ مَا هُوَ مكتوبٌ عَنّى فِى نَامُوس مُوسَى والأنبيَاءِ والمزَامير. حينئذٍ فتحَ ذِهْنَهُمْ ليفهَمُوا الكتبَ". إنّ فتحَ الذِهْن هُوَ عَمَلٌ إلهىٌّ وليْسَ بمَجْهُودٍ بَشْرَى. وقدْ يَسألُ سَائِلٌ مَا حَاجتِى إلى تجْديد ذِهنِى؟. أولَيْسَ المَطلوبُ مِنّى أنْ أؤمِنَ وكفَى؟. ولِلإجَابَةِ على هذا السّؤال أعْطِى مِثالاً مِنَ الوَاقِع: لقدْ فكرْتُ فِى الهجْرَةِ إلى كَنَدَا فأبْدَيْتُ رَغْبتِى طالباً الهجْرَة. وَافقتْ الجِّهَاتُ المُختصّة. ومُنِحْتُ حَقّ الهجْرَةِ إليْهَا لأنّنِى استوفَيْتُ شُرُوطاً مُعيّنَة. ولكِنّنِى حينَ جئتُ إلى كَنَدَا وَجَدْتُ مِنَ المُحَال أنْ أعيشَ فيهَا بالأسلوبِ الذِى كنْتُ أمَارسُهُ بمِصْرَ. فالقوَانينُ والعَادَاتُ واللغَة تختلِفُ. ولا بُدّ لِذِهْنِى أنْ يَستوْعِبَ مَا هُوَ جديدٌ. إذنْ لمْ يكنْ الأمْرُ يقِفُ عِنْدَ حَدِّ إبدَاء رَغبتِى وقبُولِهِمْ لِى كمُواطِن كنَدِىّ. فأنَا الآنَ أتبَعُ القوانينَ الخاصة بكَنَدَا مَا دُمْتُ فيهَا. كمَا أنّنِى احتفِظ بالجنْسيّةِ المِصْريّةِ. وأتبَعُ القوَانينَ الخَاصّة بمِصْرَ مَا دُمْتُ فيهَا.[2]

إنّ المِثالَ السَابق ذِكْرُهُ يُوضِّحُ مَوقِفَ المُؤمِن بَعْدَ خُرُوجهِ مِنْ مَملكَةِ الظلمَةِ لِيُصْبحَ لهُ اسْمٌ فِى ملكوتِ الله مَعَ الفارق فِى التشبيهِ. لأنّهُ لا يجُوزُ الجَمْعَ بيْنَ المَملكتيْن. لأنّ لا شَركَة لِلنور مَعَ الظلمُةِ. ومَنْ انتسَبَ لِملكوتِ اللهِ لا بُدّ لهُ مِنْ تجْديدِ ذِهْنِهِ ليتلائمَ مَعَ مَملكَةِ النور. فهُوَ قبلَ اختبَار التجْديدِ أىْ الميلادِ الثانِى كَانَ تحْتَ سُلطان إبليس. ولكنْ بَعْدَ التجْديدِ يَخضَعُ لِسلطَان الإلهِ الحَىّ. كانَ ذِهنهُ قبْلاً يَختزنُ الحِكمَة البَشَريّة والفلسَفَاتِ العَالميّةِ التِى لا تتفقُ وقوَانين ملكوتِ السّمَوات. والآنَ لا بُدّ لِذِهْنِهِ أنْ يَستبْعِدَهَا ليَستقبلَ كَلامَ اللهِ. لأنّ مَا اختزَنَهُ ذِهنهُ مِنَ العَالم لا يَصلح لهُ بَعْدَ الإيمَان. ومَا اقتنَعَ بهِ سَابقاً لمْ يعُدْ يقنِعُه بَعْدَ قبُولِهِ الحقّ. إنّ الرّوحَ القدُس بدَاخِل المُؤمِن يُذكّرُهُ بالرّصيدِ المُدّخَر مِن كَلام اللهِ ويُوضّحُه لهُ ليَستنيرَ. كانَ قبلاً سلوكهُ حَسَبَ الجَسَدِ ولكنْ بَعْدَ تجْديدِ ذِهنِهِ صَارَتْ القيَادَة لِلرُوح القدُس. وسلوكهُ أصْبَح متأثِراً بقيَادَتِهِ. فإنْ لمْ يَستبْعِدْ المُختزَنَ الزّائِفَ مِنْ ذِهنِهِ ليَستقبلَ كَلامَ اللهِ فسَيقِف الرّوحُ القدُسُ عَاجزاً عَنْ تجْديدِهِ. كتبَ بُولسُ الرّسُول فِى رسَالتِهِ إلى مُؤمِنِى رُوميَة يقولُ: "فإنّ الذينَ هُمْ حَسَبَ الجَسَدِ فبمَا لِلجَسَدِ يهتمّونَ. ولكنّ الذينَ حَسَبَ الرّوح فبمَا لِلرّوح. لأنّ اهتمَامَ الجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ ولكِنّ اهتمَامَ الرّوح هُوَ حيَاة وسَلام. لأنّ اهتمَامَ الجَسَدِ هُوَ عَدَاوَة لله. إذ ليْسَ هُوَ خَاضِعاً لنَامُوس اللهِ لأنّهُ أيْضاً لا يَستطيعُ".[3]

لقدْ كتبَ بُولسُ الرّسُولُ فِى رسَالتِهِ الثانيَةِ إلى مُؤمِنِى كورُنثوس يقولُ: "إذاً إنْ كانَ أحَدٌ فِى المَسيح فهُوَ خليقة جَديدَة. الأشيَاءُ العتيقة قدْ مَضتْ. هُوَذا الكلُّ قدْ صَارَ جَديداً". فمَا كانَ لا يَستوْعبُهُ المُؤمِنُ سَابقاً لأنّهُ رُوحِىّ. أصْبَحَ يُرَحِبُ بهِ بَعْدَ تجْديدِ ذِهنِهِ. ومَا كانَ يُبْهجُهُ ويَبْعَثُ المَسرّةِ إلى قلبهِ مِنْ أفرَاح العَالم. أصْبَحَ لا يُبْهجُهُ ولا يَبْعَثُ المَسَرّةَ إلى قلبهِ. بل يُحزنُ الرّوحَ القدُسَ السّاكِن فيهِ. إنْ لمْ تتجَدّدْ أذهَاننَا بقينَا على حَالِنَا القديم لا فرقَ بيْنَنَا وبيْنَ أوْلادِ العَالم. ولكنْ بتجديدِ أذهَانِنَا سيَرَى النّاسُ فينَا المَسيحَ. ويَعْرِفونَ أننَا اتبَاعُهُ وتَلاميذهُ وسُفرَاؤهُ وجُنودُهُ. بتجديدِ الذِهْن يختبرُ المُؤمِنُ إرَادَةَ اللهِ الصَالِحَةِ المقبولَةِ الكامِلةِ ويتمتعُ بالفرَح الحقيقىّ. إنّ إبليسَ على الأرْض يَعْملُ الآنَ فِى أبنَاء المَعْصيَةِ. إلا أنّهُ عِنْدَ مَجىءِ يوْمَ دَينونتِهِ القريب سيبْطلُ عَملهُ ويتوقفُ. "لأنّهُ سَيُطرحُ فِى بُحيْرَةِ النّار والكبْريتِ حيْثُ الوَحْشُ والنبىُّ الكَذابُ وسيَعَذبُون نَهَاراً وليْلاً إلى أبَدِ الآبدينَ". وفِى السّمَاءِ بأصْوَاتٍ عَظيمَةٍ سيَأتِى الإعْلانُ الآخيرُ: "قدْ صَارَت مَمَالكُ العَالم لِربّنَا ومَسيحِهِ فسيَملِكُ إلى أبَدِ الآبدينَ".[4]

عزيزى القارئ.. ليتك تشترِكُ مَعِى فِى تِلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوىّ.. إرشِدْنِى برُوحِكَ. فحَاجتِى إليكَ وإليكَ وَحْدَكَ. أنِرْ قلبى. وافتَحْ ذِهنِى لأفهَمَ المكتوبَ. وهَبْنِى حِكمَة لأستنيرَ أكثرَ بالحقّ وأعلنَهُ لمَجّدِ اسْمِكَ العَظيم. أرفعُ صَلاتِى فِى اسْم يَسُوعَ فادِىّ.. مُتكِلاً على وَعدِكَ الصّادِق يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالةِ أو غَيرَهَا ستجِدُ ذلِكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ١٩ – ٢٠
[2] إنجيل لوقا ٢٤: ٤٤ – ٤٩
[3] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٨: ٥ – ٧
[4] رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٥: ١٧ ، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ٢٠: ١٠ & ١١: ١٥